«خارج الكادر داخل السينما»

نصوصٌ تروي لا كتابة تنتقد

يحاول الناقد خروجاً على نقد مباشر إلى عوالم سينمائية مختلفة، بحثاً عن تجريب مختلف في كتابةٍ تريد أنْ تروي قصصاً لا أن تكتفي بنقدٍ

نديم جرجوره

الكتابة تمرينٌ يُتيح، أحياناً، خروجاً من الكادر السينمائي، والبقاء ـ في الوقت نفسه ـ داخل السينما. نهاية عام مليء بالبؤس والخراب والقلق، وبالبحث عن أدوات عيشٍ آمن، وبطرح تساؤلاتٍ عن مقبلٍ غامضٍ من أيام مُنتظَرة، تُحرِّض على كتابةٍ كهذه، وتدفعُ إلى تمرين يتجاوز النقد إلى مسام العلاقة الذاتية ـ الانفعالية بالسينما، أفلاماً وشخصياتٍ وقضايا، وعاملين وعاملاتٍ فيها ولها.

«حصاد سينما 2020» مختلفٌ هذا العام («العربي الجديد»، 29 ديسمبر/ كانون الأول 2020). الدعوة إلى كتابةٍ ذاتية عن عام الوباء رغبةٌ في تأمّل شخصيّ، لن يخرج كلّياً من السينما أو عليها، بل يتوغّل فيها أكثر فأكثر، استناداً إلى مشاعر، أكثر من إعمالِ تفكير وتحليل وتفكيك. العام المنتهي مليء باختباراتٍ وخيارات، ومساره دافعٌ إلى إمعان نظرٍ وإحساس بها، ومناخه عابقٌ بإرباكٍ يطرح أسئلةً، من دون التغاضي عن أسئلة سابقة، أو تناسيها. الحاصل في عامٍ كهذا سيعلق طويلاً في ذاتٍ وعقلٍ وانفعالٍ، والمُشاهدات الآتية، كما القراءات والتفاعلِ والتواصل، ستنبثق من تأثيراته، وبعض التأثير جذريٌ، يؤدّي إلى تغيير أو تعديل أو بلورة، أو إلى مزيدٍ من التمسّك بآراء وأحاسيس سابقة، من دون تغيير فيها أو تعديل لها أو بلورتها.

اعتماد عنوان «خارج الكادر داخل السينما» انعكاسُ لرغبةٍ ذاتية في مقاربة كتابيّة، غير معنيّة بنقدٍ أو تنظيرٍ. هذا جزءٌ من معاينة عامٍ منتهٍ. هذا تحويل للكتابة المهنيّة إلى نصوصٍ لاحقة، تبغي السينما، فتُكْتَب بعيداً عن نقدها وقريباً منها، وتكون الكتابة مرايا ذاتٍ أمام فنٍّ. كتابةٌ مرجوّة كهذه يغلب عليها الذاتيّ والشخصيّ، كأنْ تُروى حكايات ناقدٍ مع شخصية سينمائية، أو موضوعٍ سينمائي، أو مهرجان غربيّ أو عربيّ، أوٍ حالة أو تعبير أو جملة أو لقطة أو ممثل/ ممثلة، إذْ يُمكن حينها أنْ يتساءل كاتب النصوص، من دون التزامات نقدية بحتة، عن مصير شخصية في فيلمٍ بعد انتهائه، أو عن مدى إمكانية معالجة مسألةٍ بطريقة أخرى، أو عن نتيجة اختيار ممثلة/ ممثل آخر لهذا الدور أو ذاك.

المسائل السينمائية خارج النقد السينمائي كثيرةٌ. معظمها يُثير حماسة تعليقٍ يبتعد عن نقدٍ مباشر، ويذهب ـ كما السينما نفسها ـ إلى آفاقٍ وتفاصيل وحكايات أخرى. هذا غير جديدٍ. هذا غير مبتكرٍ. نقّاد يقولون به، وإنْ يغلب نقدٌ مُخفَّف على ما يكتبون. هذه نصوصٌ تبتعد عن النقد، لكنّها لن تقترب من النميمة، ولن تغوص في أخبار غير سينمائية، تتعلّق بمن يعمل في السينما، كطلاقٍ وزواج وفضائح، وكغيرها من حكاياتٍ غير ملائمةٍ أبداً لـ«خارج الكادر داخل السينما»، وغير مرتبطة البتّة بنقدٍ سينمائي أصلاً.

رغبة ذاتية في مقاربة كتابيّة غير معنيّة بالنقد

الكتابة عن مسائل سينمائية كثيرة تبدو كأنّها مشاركة غير مباشرة في صناعة سينمائية، لن تتحقّق (المشاركة) من دون الكتابة نفسها. تمرينٌ على اشتغالٍ يُعبِّر كتابة عمّا يراه مُشاهدٌ، وظيفته النقد، لكنّه يرغب في الخروج قليلاً من النقد إلى عوالم سينمائية ينفر النقد منها، أو لا يستسيغها، أو لا يراها نقداً. ألن يكون تمريناً على كتابة مختلفة، قول ناقدٍ بأنّه يُحبّ روكي ويكره رامبو، وبأنّه يشعر بحنوٍّ كبيرٍ على سيلفستر ستالون، لأسبابٍ عدّة؟ أين النقد في هذا؟ ألن يكون النصّ «أجمل»، أحياناً، عند تحرّره من كلّ تحليل لأفلام مارتن سكورسيزي مثلاً، وذهابه إلى أمكنةٍ فيها يشعر الناقد أنّها تُناسبه، إنسانياً وانفعالياً، أكثر من مناسبتها إياه سينمائياً ونقدياً؟ ألن يُحقّق قولٌ بانبهارٍ شخصيّ بعلاقة روبيرت دي نيرو بآلٍ باتشينو خارج البلاتوهات والتمثيل، وإنْ عبر البلاتوهات والتمثيل؟

أيضاً: «أين الخطأ»، النقدي أو المهني، إنْ كتب ناقدٌ رأياً بسلوك عامل/ عاملة في السينما، خارج البلاتوهات وداخل الحياة اليومية، رغم أن الرغبة الأساسية في «خارج الكادر داخل السينما» غير معنيّة بهذا، كلّياً؟ إجراء مقارناتٍ غير نقدية بين هنا وهناك، مثلاً: ألن تكون دافعاً إلى اقترابٍ إضافيّ، بأشكالٍ مختلفة، من أحوال بيئة يُنتمي الناقد إليها، لبنانياً وعربياً؟

هذه تساؤلات، لا أكثر. التجربة غير مؤكّدٍ مصيرها. التمرين رغبةٌ تتّخذ من الآنيّ ركيزة، والمُقبل يتحدّد لاحقاً. كتابة مختلفة كهذه لن تُلهي الناقد عن وظيفته، بل تمنحه مُتنفّساً بسيطاً في عامٍ جديدٍ، يُريده كثيرون خلاصاً من ارتباكاتٍ قاسية، ومن هزائم مُدوّية، ومن تغييراتٍ مُثقلة بألف همّ وسؤال. لعلّ كتابة كهذه تكون همّاً أفضل، وسؤالاً أجمل، فللسينما سحرٌ قادر على مواجهة خضّات وقلاقل، وإنْ بتنقيبٍ عميقٍ في خرابٍ ووحشة وآلامٍ وانكساراتٍ.

كتابةٌ كهذه ستكون امتداداً للوظيفة وتكاملاً معها، فلمقاربة السينما مداخل عدّة، تُتيح تواصلاً تختلف وسائطه أحياناً، وتتشابه أحياناً أخرى، في سعيها إلى بلوغ لحظة مُحدّدة: عيش متعة السينما، رغم الدويّ الهائل لمواجع وصدامات. عيشٌ ينبثق من تمرين، ومتعة متأتية من قراءة مفارقات تحيط بالسينما وصانعي أفلامها، وتغرف منها نصوصاً تروي، لا كتابة تنتقد.

روبيرت دي نيرو ومارتن سكورسيزي وآل باتشينو: حكايات غير سينمائية (مايك مارْشلاند/ وايرإيماج)

تساؤلات سينمائية مغربيّة

واقعٌ معطوبٌ ومستقبلٌ مأزومٌ

أشرف الحساني

تشهد الحركة السينمائية المغربيّة في زمن كورونا صمتاً رهيباً، يُخيّم على مؤسّسات فنية عدّة في البلد، بسبب تردّي الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية، في زمن الحجر الصحّي، المفروض على الجميع منذ مارس/ آذار 2020.

هذا يستدعي تفكيراً عن واقع السينما المغربيّة الآن. فالحجر أصاب مهرجاناتها وعروضها وصالاتها وخطابها النقدي، بينما صالات سينمائية في فرنسا وغيرها تعتزم فتح قاعاتها، ومُتابعة الجديد السينمائيّ. لكنّ المغرب بَادَر، منذ أشهر، إلى فتح منصّات رقمية لمُشاهدة أعمال مغربيّة قديمة، تخدم مشروع الناقد أكثر من أيّ شيء آخر، وتُطوِّع مُشاهداته اليومية لأفلامٍ مغربيّة عدّة، غير مُتوفّرة في الأيام العاديّة قبل الحجر، وتدفعه إلى ابتكار مشروع نقدي يقوم على قراءات ودراسات ومقابلات وتأمّلات في جوهر السينما المغربيّة، أمام تبدّلات في المفاهيم والنظريات والتخييل والجماليات، التي ألمّت بها منذ نهاية الثمانينيات الماضية.

أسماء قليلة قدّمت إشارات على ضرورة مراجعة السجل النقدي، على ضوء المعطيات الجديدة التي وفّرتها منصّات إلكترونية. نقّاد عديدون أشادوا بالدور الذي لعبته هذه المنصّات أثناء مأساة كورونا، المؤثّرة بشكل كبير على معايير الذوق والفرجة بين الأفراد، ما يستدعي تأمّلاً سوسيولوجياً في طبيعة هذا الإبدال الفني الغنيّ، الذي لا مثيل له في تاريخ دور السينما. فالنقد مُطالبٌ بالتفكير في أسئلة كهذه، باتت مُلحّة بتناولها راهن السينما المغربيّة إزاء «عنف» إغلاق القاعات، وتقهقر الصناعة السينمائية، وتلاشي مشاريعها المتعلّقة بالسيناريوهات، وضياع هالتها في يوميّات الحجر، رغم أنّ هذه الخلوة ربما تُغيّر منسوب الرؤية قليلاً، وتُحرّر معالم سيناريوهات المغاربة، وتجعلهم يتريّثون في كتابة أفلامٍ بجودة عالية، والاستماع إلى أنين النصّ وشروخه، بغية سبر أعطابه ومزالقه، قبل تقديمه إلى أيّ جهة دعم، رسمية أو خاصة.

ساحة جامع الفنا بمهرجان مراكش 2008: أتعود تلك الأيام الجميلة؟ (عبد الحقّ سينّا/ Getty)

صمتٌ يُخيّم على الحركة السينمائية المغربيّة زمن كورونا

لكنْ، من جهة أخرى، تبدو الكتابة صعبة، كما يقول مخرجون عديدون، أمام تمادي يوميّات الحجر في البلد، ما يُجهِضُ كلّ حلمٍ، ويغدو كلّ مشروع سينمائيّ محض خرافة وهباء، أمام إغلاق أمكنة فنية وصالات سينمائية وتأجيل مهرجانات، كفضاءات وحيدة تنمو هذه المشاريع فيها، وتتحقّق المُشاهدة/ التواصل بين الجمهور والمخرج/ العمل السينمائي. لذا، يظلّ سؤال مصير القاعات السينمائية مطروحاً، ويُفزع مسؤولين عديدين عن قاعات سينمائية. فالسينما، بالنسبة إلى مسؤولين وقيّمين كثيرين على القطاع، تظلّ مجرّد مطلب ثانويّ بعد توفير الخبز والماء، وهذا تُزكّيه سياسات الانبطاح والتريّث في التفكير في جوهر السينما المغربيّة الآن.

صحيحٌ أنّ وزارة الثقافة ساهمت، إلى حدّ ما، في تخصيص ميزانية لهذه القاعات السينمائية، لفكّ العزلة عنها، رغم أنّ قطاع الثقافة في المغرب أكثر المُتضرّرين من الوباء، بحكم الشرخ الكبير الذي أصاب السياحة، ومعها المآثر التاريخية، التي تُعدّ مورداً لقطاع الثقافة، جعل ميزانيتها هزيلة لدعم السينما وقنواتها. تساءل كثيرون عن مصير السينما في المغرب، فكلّ شيء مُعطّل: مشاريع أفلام ويوميّات تصوير، علماً أنّ تفاقم حالات كورونا، جعل مخرجين ومخرجات يؤجّلون أعمالهم السينمائية إلى أجل غير مُسمّى.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ The Outpost لرود لوري، تمثيل سيلينا سيندن (الصورة) وأورلاندو بلوم وسكوت إيستوود: يستعيد الفيلم معركة «كامدش»، في 3 أكتوبر/ تشرين الأول 2009، بعد تكليف جنود أميركيين بإخراج عناصر طالبان من بين المدنيين واحتواء هجوم المتمرّدين في بؤرة استيطانية تقع في وادي الجبال الـ3. يُحاصَر الكابتن كيتنغ، مع 52 جندياً من رجاله و140 جندياً أفغانياً في قاعدتهم العسكرية من 300 طالبانيّ.

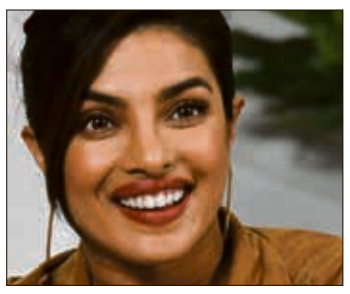

■ We Can Be Heroes لروبيرت رودريغز، تمثيل بريانكا شوبرا (الصورة) وأكيرا أكبر وكريستيان سلايتر وبدرو باسكال: فيلم خيال علمي، يروي حكاية كائنات فضائية تجتاح الكرة الأرضية، وتأسر جميع الأبطال الخارقين، وتحديداً أولئك المنتمين إلى Heroics. هذا يدفع أولادهم إلى الاتّحاد معاً والتخطيط الدقيق لإنقاذهم من الأسر (تعرضه منصّة «نتفليكس»).

■ Sylvie's Love لأوجين آش، تمثيل تيسّا تومبسون (الصورة) ونْنَمْدي أسوموغا وأجا نعومي كينغ: تدور أحداث هذا الفيلم الأميركي، المعروض للمرة الأولى عالمياً في «مهرجان ساندانس 2020»، أواخر خمسينيات القرن الـ20، في حي هارلم المشهور. حينها، تلتقي امرأة عاملة في متجر أسطوانات لوالدها، بعازف ساكسفون طموح (تعرضه منصّة «أمازون استديو»).

■ I'm Thinking Of Ending Things لتشارلي كوفمان، تمثيل جيسي بوكلاي (الصورة) وجيسي بليمنس وتوني كوليت: يزور جايك منزل عائلته في بلدة ريفية، حيث لها مزرعة كبيرة، وذلك لتقديم صديقته إلى والديه. يقع حادثٌ مفاجئ يُبدِّل كلّ شيء، فيتخلّى جايك عن صديقته، ويختلط التوتر بالضعف النفسي والاضطرابات المختلفة، ما يخلق مناخاً ضاغطاً من الرعب الخالص (اقتباس من رواية بالعنوان نفسه لألن ريد).

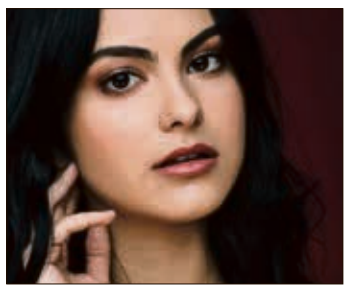

■ Dangerous Lies لمايكل أم. سكوت، تمثيل كاميلا مانديس (الصورة) وجيسي تي. أوشر وجيمي تشانغ: قبل وفاته بوقتٍ قليل، يُعدِّل عجوزٌ في وصيّته ليمنح ثروته كلّها لشابّة تعمل لديه كممرضة ومُساعدة له. لكنّ الشابّة تجد نفسها فجأة في دوّامة مخيفة من الأكاذيب وجرائم القتل، ما يدفعها إلى البحث في تاريخ كلّ واحد يُحيط بها لمعرفة مجريات تلك الأحداث الغريبة والدموية، بمن فيهم حبيبها، الفَرِح بالثروة هذه (تعرضه منصّة «نتفليكس»).